

حياة أعظم الرسل

عظمة محمد في شجاعته

عِظَةُ مُحَمَّدٍ فِي شَجَاعَتِهِ

كَانَ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
شُجَاعًا فِي صِبَاهُ وَشَبَابِهِ ، شُجَاعًا فِي
تَبْلِيغِ رِسَالَةِ رَبِّهِ سِرًّا وَجَهْرًا (بِصَوْتٍ
مُرْتَفِعٍ) ، بِكُلِّ شَجَاعَةٍ وَصَبْرٍ وَإِيمَانٍ .
طُلِبَ مِنْهُ وَهُوَ صَبِيٌّ أَنْ يَحْلِفَ
بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى — وَهُمَا مِنْ آلِهَةِ قُرَيْشٍ
وَأَصْنَامِهَا — فَقَالَ : لَا . إِنِّي لَمْ أَكْرَهُ
شَيْئًا مِثْلَ كُرْهِی لهُمَا ، وَصَرَخَ أَمَامَ
قُرَيْشٍ بِكُرْهِهِ لهُمَا ، وَلَمْ يُبَالِ غَضَبَ

قَرِيشٍ .

وَذَاتَ مَرَّةٍ خَرَجَ فِي قَافِلَةٍ (جَمَاعَةٍ
مُسَافِرَةٍ) إِلَى الْيَمَنِ مَعَ عَمَّيْنِ لَهُ ، وَكَانَتْ
سِنُّهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ سَبْعَ عَشْرَةَ
سَنَةً ، فَرَأَوْا مِنَ الْجِمَالِ جَمَلًا مُتَوَحِّشًا
جَامِحًا (هَائِجًا مُسْرِعًا) ، فَتَعَرَّضَ لَهُ
مُحَمَّدٌ وَهُوَ شَابٌّ ، وَكَبَحَ جِمَاحَهُ
(وَجَذَبَهُ إِلَيْهِ ، وَجَعَلَهُ يَقِفُ
وَلَا يَجْرِي) . وَبَعْدَ ذَلِكَ اعْتَرَضَ الْقَافِلَةَ
فِي رِحْلَتِهَا وَادٍ مَمْلُوءٌ مَاءً ، فَخَافَتْهُ الْقَافِلَةُ ،
فَتَقَدَّمَ مُحَمَّدٌ بِكُلِّ شَجَاعَةٍ ، وَقَالَ :

اِتَّبِعُونِي ، اِتَّبِعُونِي . فَتَبِعُوهُ ، حَتَّى مَرُّوا
بِسَلَامٍ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ .

هَذِهِ أَمْثَلَةٌ قَلِيلَةٌ مِنْ شَجَاعَتِهِ فِي صِبَاهُ
وَشَبَابِهِ ، وَلَكِنَّ الشَّجَاعَةَ النَّادِرَةَ هِيَ
شَجَاعَتُهُ فِي أَدَاءِ رِسَالَتِهِ ، وَالْمُنَادَةِ بِعِبَادَةِ
اللَّهِ وَحْدَهُ ، وَتَرْكِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ بَيْنَ
قَوْمٍ اعْتَادُوا عِبَادَتَهَا تَقْلِيداً لِأَبَائِهِمْ
وَأَجْدَادِهِمُ السَّابِقِينَ ، وَخَاصَّةً حِينَمَا أُمِرَ
بِالدَّعْوَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ وَمَبَادِئِهِ جَهَاراً .
فَنَادَى فِي قُرَيْشٍ وَغَيْرِ قُرَيْشٍ بِمَا يُنَادِي بِهِ

الْإِسْلَامُ مِنْ تَحْرِيمِ الرَّبَا — وَهُوَ أَنْ
 تُسَلِّفَ غَيْرَكَ نُقُودًا بِزِيَادَةِ مَالِيَّةٍ ، بِأَنْ
 تَأْخُذَ مِنْ تُسَلِّفُهُ أَكْثَرَ مِمَّا أُعْطِيَتْهُ .
 كَانَ تُسَلِّفُهُ مِائَةَ قِرْشٍ ، وَتَأْخُذَهَا مِنْهُ
 مِائَةً وَعَشْرَةَ قُرُوشٍ — ، وَتَحْرِيمِ شُرْبِ
 الْخَمْرِ وَتَحْرِيمِ الزَّنى ، وَالْمَيْسِرِ —
 وَهُوَ لَعِبُ الْقُمَارِ — . وَهَذِهِ هِيَ الْمَلَاذُتَى
 يَنْعَمُونَ بِهَا فِي حَيَاتِهِمْ ، وَمَصَادِرُ الثَّرْوَةِ
 الَّتِي يَعْتَمِدُونَ عَلَيْهَا فِي مَعِيشَتِهِمْ .
 وَفِي الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ أَهْلُ مَكَّةَ

يَفْخَرُونَ بِالْأَحْسَابِ ، وَالْأَنْسَابِ
(بِالْأُسْرَةِ وَالْقَبِيلَةِ) نَادَى مُحَمَّدٌ
بِالْمُسَاوَاةِ بَيْنَ السَّادَةِ وَالْعَبِيدِ ؛ لِأَنَّ النَّاسَ
فِي الْإِسْلَامِ مُتَسَاوُونَ كَأَسْنَانِ الْمَشِطِ ،
وَلَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى
وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ . وَقَالَ لِبَنِي هَاشِمٍ —
وَهُمْ أُسْرَتُهُ — لَا يَجِيءُ إِلَى النَّاسِ
بِأَعْمَالِهِمْ ، وَتَجِيئُونِي بِأَنْسَابِكُمْ .
لَمْ يَكْتَفِ الْمُصْطَفَى بِالْمُسَاوَاةِ بَيْنَ
الْأَغْنِيَاءِ وَالْفُقَرَاءِ ، وَالسَّادَةِ (جَمْعِ

سَيِّد) وَالْعَبِيد ، بَلْ أَمَرَ الْأَغْنِيَاءَ بِإِعْطَاءِ
الْفُقَرَاءِ الزَّكَاةَ وَهِيَ حَقٌّ لَهُمْ ، حَتَّى
يَسْتَطِيعُوا تَحْرِيرَ أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ ،
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ
وَالْمَسَاكِينِ ... ﴾ وَقَالَ الرَّحْمَنُ
الرَّحِيمُ : ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ
مَعْلُومٌ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ .

نَادَى الرَّسُولُ بِتَرْكِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ ؛
لِأَنَّهَا لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ ، وَلَا تَسْمَعُ
وَلَا تُبْصِرُ ، وَدَعَا النَّاسَ جَمِيعًا إِلَى عِبَادَةِ
اللَّهِ الْوَاحِدِ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، وَوَقَفَ

وَحَدَهُ يُنَادِي بِالْإِسْلَامِ بَيْنَ قَوْمٍ مِنَ
الظَّالِمِينَ وَالْجَبَابِرَةِ ، وَهَذِهِ شَجَاعَةٌ
لَا مَثِيلَ لَهَا .

مَكَثَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً بِمَكَّةَ شُجَاعًا صَابِرًا
يَدْعُو قَوْمَهُ إِلَى الدِّينِ الْحَقِّ ، دِينَ اللَّهِ ،
وَتَغْيِيرِ حَيَاتِهِمُ الدِّينِيَّةَ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةَ
وَالْمَالِيَّةَ وَالْبَيْتِيَّةَ ، وَلَقِيَ كَثِيرًا مِنَ
الْإِسْتِهْزَاءِ ، وَالْأَلَمِ وَالْعَذَابِ لِيَنْشُرَ
دَعْوَةَ اللَّهِ وَرِسَالَاتَهُ رَبِّهِ بَيْنَ قَوْمٍ مِنَ

الْكَافِرِينَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ . وَلَمْ
يُؤَالِ مَا نَالَهُ مِنْ مُعَارَضَةٍ وَتَعْذِيبٍ
وَتَهْدِيدٍ . وَهَذِهِ هِيَ الشَّجَاعَةُ الْحَقَّةُ ،
وَهَذَا هُوَ الْإِيمَانُ الْحَقُّ بِاللَّهِ ، وَالتَّمَسُّكُ
بِالْحَقِيقَةِ .

شَجَاعَتُهُ فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ :

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى شَجَاعَتِهِ النَّادِرَةُ أَنَّهُ فِي
يَوْمِ غَزْوَةِ حُنَيْنٍ^(١) ، أَتَكَلَّ الْمُسْلِمُونَ

(١) وَادٍ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ حَدَّثَتْ فِيهِ غَزْوَةُ حُنَيْنٍ . وَكَانَ عَدَدُ
الْمُسْلِمِينَ ١٢٠٠٠ وَعَدَدُ الْكُفَّارِ ٤٠٠٠ .

عَلَى كَثَرَتِهِمْ ، فَهَزِمُوا ، ثُمَّ وَلَّوْا
مُنْهَزِمِينَ ، وَوَقَفَ الرَّسُولُ عَلَى بَغْلَتِهِ
الْبَيْضَاءِ ثَابِتًا ، مُطْمَئِنًّا كُلَّ الْإِطْمِئْنَانِ ،
وَهُوَ يَقُولُ :

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ
قَالَ اللَّهُ الْحَكِيمُ : ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ^(١)
أَعْجَبَتْكُمْ^(٢) كَثْرَتُكُمْ ، فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ
شَيْئًا ، وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا
رَحَبَتْ^(٣) ، ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ^(٤) . ثُمَّ

(١) وَقَتْ أَنْ . (٢) فَقُلْتُمْ لَنْ تُغْلِبَ الْيَوْمَ مِنْ جَيْشِ قَلِيلِ الْعَدَدِ .

(٣) مَعَ رُحْبِهَا وَسَعَتِهَا فَلَمْ تَجِدُوا مَكَانًا تَطْمَئِنُّونَ إِلَيْهِ لِشِدَّةِ خَوْفِكُمْ .

(٤) مُنْهَزِمِينَ .

أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ^(١) عَلَى رَسُولِهِ^(٢) وَعَلَى
الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا^(٣) ،
وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ، وَذَلِكَ جَزَاءُ
الْكَافِرِينَ .

وَقَدْ أُعْجِبَ الْمُسْلِمُونَ بِكَثْرَتِهِمْ ،
وَاتَّكَلُّوا عَلَى الْكَثَرَةِ ، فَلَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ
شَيْئًا ، فَإِنَّ مُقَدِّمَةَ الْمُسْلِمِينَ تَوَجَّهَتْ
جِهَةَ الْعَدُوِّ ، فَخَرَجَ لَهُمْ كَمِينٌ كَانَ

(١) رَحْمَتُهُ وَطَمَائِينَتُهُ .

(٢) قَبِلَ النَّبِيُّ عَلَى بَغْلِيهِ الْبَيْضَاءِ .

(٣) مَلَائِكَةٌ .

مُسْتَتِرًا فِي مَضَايِقِ الْوَادِي ، وَقَابِلَ
الْمُسْلِمِينَ بِنِبَالٍ وَسِهَامٍ كَأَنَّهَا الْجَرَادُ
الْمُنْتَشِرُ ، فَارْجَعُوا بِخَيْلِهِمْ مُتَقَهِّقِينَ .

فَاسْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَابِتًا فِي مَكَانِهِ ،
رَاكِبًا بَعْلَتَهُ فِي مَيْدَانِ الْقِتَالِ . وَثَبَتَ مَعَهُ
قَلِيلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، مِنْهُمْ أَبُو
بَكْرٍ ، وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ وَعَمُّهُ الْعَبَّاسُ وَابْنُ عَمِّهِ
أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْعَبَّاسُ —
وَكَانَ مُرْتَفِعَ الصَّوْتِ — نَادِ الْأَنْصَارَ

يَا عَبَّاسُ ، فَنَادَاهُمْ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا مَعْشَرَ
(جَمَاعَةً) الْأَنْصَارِ ، يَا مَعْشَرَ
الْأَنْصَارِ . فَجَاءُوا مُسْرِعِينَ حِينَمَا
سَمِعُوا صَوْتَهُ . فَنَظَرَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى بَعْغَتِهِ ، حَتَّى اجْتَمَعَ
حَوْلَهُ جَمْعٌ عَظِيمٌ مِنْهُمْ ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ
سَكِينَتَهُ وَطُمَأْنِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى
الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنْزَلَ جُنُودًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ
لَمْ يَرَوْهَا . فَرَجَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى
عَدُوِّهِمْ يَدًا وَاحِدَةً ، وَبَدَأَ الْقِتَالُ ثَانِيَةً ،
فَتَفَرَّقَ الْمُشْرِكُونَ ، وَتَقَهَّقُوا ،

وَتَرَكُوا أَمْوَالَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ ،
وَتَبِعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ
الْأَعْدَاءَ . فَأَخَذُوا النِّسَاءَ وَالْأَوْلَادَ ،
وَأَسَرُوا كَثِيرًا مِنَ الْمُحَارِبِينَ . وَفِي وَقْتِ
اشْتِدَادِ الْحَرْبِ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ قَبْضَةً مِنَ
التُّرَابِ ، فَرَمَى بِهَا ؛ فَوَصَلَ التُّرَابُ إِلَى وَجْهِ
كُلِّ كَافِرٍ . وَفِي ذَلِكَ مُعْجَزَةٌ لِلرَّسُولِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ اللَّهِ .
﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ
رَمَى ﴾ . ثُمَّ قَالَ الرَّسُولُ : « إِنَّهَزَمُوا

وَرَبِّ مُحَمَّدٍ . فَضَعُفَتْ قُوَّةُ الْأَعْدَاءِ ،
وَرَجَعُوا مُنْهَزِمِينَ إِلَى الْوُرَاءِ . وَهَرَبَ مَنْ
هَرَبَ مِنْهُمْ ، وَتَرَكُوا نِسَاءَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ
وَأَمْوَالَهُمْ .

ثُمَّ أَمَرَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِجَمْعِ
الْغَنَائِمِ ، فَكَانَتْ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ أَلْفَ بَعِيرٍ
(جَمَلٍ) ، وَأَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ أَلْفَ
نَعْجَةٍ ، وَأَرْبَعَةَ آلَافٍ أَوْقِيَّةٍ مِنَ الْفِضَّةِ .
وَقَسَّمَ الرَّسُولُ الْغَنَائِمَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ .
وَقَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ ، وَاللَّهِ مَا لِي مِنْ

غَنِيمَتِكُمْ إِلَّا الْخُمْسُ . وَالْخُمْسُ مَرْدُودٌ
عَلَيْكُمْ » . وَقَدْ أَعَزَّ اللَّهُ الْإِسْلَامَ ، وَخَذَلَ
أَعْدَاءَهُ . وَإِنَّ هَزِيمَةَ هَوَازِنَ وَثْقِيفِ
كَانَتْ خَاتِمَةً لِحُرُوبِ الْعَرَبِ . وَاعْتَنَقَ
الْجَمِيعُ الْإِسْلَامَ فِي النَّهْيَةِ . وَرَدَّ عَلَيْهِمُ
الرَّسُولُ نِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ . وَقَالَ لَهُمْ :
أَمَّا الَّذِي لِي وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَهُوَ
لَكُمْ . وَرَدَّ لَهُمُ الْمُسْلِمُونَ مُعْظَمَ مَا أُخِذَ
مِنْهُمْ .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : كُنَّا إِذَا

حَمَى الْبَأْسُ (اِشْتَدَّتِ الْحَرْبُ) اِتَّقَيْنَا
بِرَسُولِ اللَّهِ (حَفِظْنَا أَنْفُسَنَا بِالْاِحْتِمَاءِ
بِهِ) ، فَمَا يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ
مِنْهُ .

فَالرَّسُولُ كَانَ عَظِيمًا فِي شَجَاعَتِهِ ،
وَتَبَاتِهِ فِي جِهَادِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؛ فَقَدْ ثَبَتَ
ثَبَاتَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَّاتِ ، فِي كُلِّ غَزْوَةٍ
مِنَ الْغَزَوَاتِ لِبُطُولَتِهِ وَشَجَاعَتِهِ .